الفصل الثالث

الذئب والإنسان

هجوم الذئب على الإنسان وأكله

ليس في التراث العربي مثل تلك الحكايات الخرافية أو المتصورة عن الإنسان المتشبه بالذئب. ومع ذلك فقد عكس الشعر العربي بصورة خاصة، صورة لنوع من الاستئناس المتوجس بالذئب. وذلك في لقاءات خاصة حين يكون المسافرون سائرين في الصحراء، فيعترضهم الذئب، ويحكون قصة لقائهم ذاك.

ومن أوائل القصص القديمة التي خلّدها الشاعر العربي، قصة المرقش الأكبر، والقصة تحمل مضامين أولية، مهمة، يتجاذبها عنصران هما: الخوف والرغبة، كل خائف من صاحبه: الشاعر خائف من الذئب، والذئب خائف من الشاعر، والرغبة يمثلها اقتراب الذئب من الرجل، ورغبة داخلية عند الشاعر في الاستئناس بالذئب، ولكن ذلك لم يتطور إلى صحبة على الطريق، بل اقتصرت على اللقاء ليلاً. ولكنه لم ينتقل، على الأقل، إلى الاعتداء، بل عبّر عن تصالح فيما بينهما، حيث اكتفى الذئب بقطعة اللحم المشوية التي رمى بها المرقش إليه[1]. والوضع نفسه تجده عند عمرو بن الصعق، الذي رمى للذئب قطعة من اللحم، فانصرف بها مسروراً.

---

(١) الأنباري، شرح المفضليات، ص ص ٤٦٥- ٤٦٦.

وتبلغ الأثرة بالشاعر العربي إلى أن يحكي تأبط شرّاً عن ابن عمه:

لَطِيفُ الحَوايا يَقْسِم الزَّادَ بينه سَواءً وبين الذئب قَسْمَ المُشارك [١]

وفي قصيدة امرئ القيس [٢]، استخدم لفظة: "أخ"، وهي لا تعني القرابة الاجتماعية بالذئب؛ لأن بقية الأبيات لا زالت تعكس المفهومين السابقين: الخوف والرغبة. ولكنها عكست حالا أخرى هي الحالة النفسية التي تجمع الاثنين، وإن كنا نلاحظ هنا أن عامل الخوف من جانب الذئب كان أشد منه عند الإنسان، فقد أبدى الإنسان رغبته في تحويل الأخوة النفسية إلى أخوة اجتماعية، ولكن الذئب أبدى شكّه في صدق هذه الأخوة لاختلاف الطبيعتين: البشرية والحيوانية السبعية. وفي ضوء تلك الوقائع تتضاءل تلك الموروثات الاجتماعية الشائعة عن الطبيعة الشريرة للذئاب عند الإنسان. فجويرية الفزاري يستخدم لفظيّ: "نسب" و"شعب"، وهي إشارة حقيقية إلى تراسل الأحاسيس بين الإنسان العربي في صحرائه والذئب العربي في صحرائه، بيد أن الاختلاف بين الطبيعتين يظل قائماً، وهو ما عبّر عنه، فقال:

وبغيـــر معرفـــة ولا نســـب إنا وشَعْبَك ليس من شَعْب [٣]

أما الفرزدق، فاستخدم حالة صحبة للدلالة على أن العلاقة مؤقتة:

تَعَشَّ فإن واثَقْتَنـي لا تَخونُنـي نَكُن مثلَ مَن يا ذئبُ يصطحبان [٤]

وفي قصيدة تأبط شرًّا تأخذ تلك العلاقة النفسية في التعمق شيئاً ما، فثابت

---

(١) أبو جعفر، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى (القاهرة: مطابع الرجوي، ط٣، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص٨٨. الحوايا: جمع الحوية، وهي ما تحوي من الأمعاء.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ص٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص ص١٢٦- ١٢٨.

(٤) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج٢، ص٣٢٩.

(تأبط شرًّا) فقير معدم، والذئب يوصف بالفقر، ولذلك قال:

وقلـت لـه لمـاعـوى إن ثابتاً قليلُ الغنى إن كنتَ لَمّا تَمَوّلُ

كلانا إذا ما نـال شيئاً أضاعه ومن يحترث حرثي وحرثك يُهْزَل [1]

ومع ما أشيع عن اعتداء الذئاب على الإنسان، [2] فإننا لم نصادف حتى الآن أية حالة تدل على هذا، حتى إن الملاحظات العلمية فيما يخص الذئب العربي أنه نادراً ما يهاجم الإنسان[3]، أي: أن هجومه - إن وقع - بدافع الضرورة أو لحالة ما. بل إن قصة أبي كبير الهذلي [4] تكشف عن خوف الذئبة منه وفرارها عنه. وإضافة إلى هذا لم نجد في أبيات غيلان بن سلمة أية إشارة إلى خوفه من هجوم الذئب عليه، على الرغم من أن الذئب كان شديد الجوع لقوله: "يعوي بقفرته"، فغيلان بات في تلك الفلاة، والذئب حوله يعوي، يؤرقه من شدة عوائه، فلم ينم تلك الليلة، ليس خوفاً، وإنما نتيجة الضجيج الذي يحدثه ذلك العواء، فيقول:

قـد (بتُّهُ) وَهْنـاً وأَرَّقنـي ذئـب الفـلاة كأنـه جـذْلُ [5]

وهم يشيرون إلى أن الذئب كان يهرب منهم إذا صاحوا عليه: "يعاط يعاط"، كما ذكر لك الراجز:

تهفو إذا قيل له يعاط [6].

---

(١) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ص١٨٢-١٨٥. من يحترث حرثي وحرثك يهزل: أي من يطلب مني ومنك شيئاً لم يدرك مُراده.

(٢) Freund, Der Wolfsmensch, s. 68.

Britta Samson Rothausen, Samson Unser Wolf (Hannover: Handbuch Velerag, 1979), s. 27.

(٣) Harrison & Bates, The Mammals of Arabia, P. 116 .

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج٣، ص ص١٠٧٦-١٠٧٧.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٣٧٨. الرواية الصحيحة: "قد بته"؛ لأن قبله: "ومعرس". وهناً: ليلاً.

(٦) الزبيدي، التاج، "يعط".

ويقال: زجر الذئب، فما أنحا لزجره [١].

ويقولون: جه جه، تسكين للذئب [٢].

ولم يصرح الأعرابي [٣] الذي ربّى ذئباً بأن من طباعه افتراس الناس، وإنما من طباعه افتراس الغنم.

وقد خالف حميد بن ثور الهلالي ما عُرف عن الكرم العربي الذي عبّرت عنه مجموعة من الشعراء، فقد أكل وحده والذئب ينظر إليه جائعاً. ومع ذلك ظل الذئب بالقرب من حميد ولم يعتد عليه، يقول:

ونِمتُ كنوم الذئب عن ذي حَفيظة أكلت طعاماً دونه وهو جائع [٤]

وكان كعب بن زهير أكثر واقعية من حميد بن ثور، إذ لم يفرّط فيما لديه من أكل في سفره، ولكنه وعد بأنه سوف يترك شيئاً للذئب والغراب بعد أن يرحل:

أغارا علـى مـا خَيَّلَتْ وكلاهمـا سيُخلِفه منـي الذي كـان يَأمُل [٥]

أما الأخطل، فكان يطرح شيئاً مما لديه للذئب والغراب، ومع ذلك، فإنه كان يستشعر الخوف من منظرهما [٦]. وأما كثيّر [٧]، فلم يخبرنا عما فعل مع الذئب، وكذلك ذو الرمة [٨] في رائيته، ولكن الفرزدق المشهور بفخره بالمآثر القديمة، يبيّن

---

(١) المصدر نفسه، "حاش".

(٢) المصدر نفسه، "جهجه".

(٣) العسكري، الجمهرة، ج٢، ص٢٠.

(٤) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، حاشية ص١٠٥، وهي الرواية المناسبة.

(٥) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٥٢. على ما خيلت: على ما ظنا الحصول عليه.

(٦) الأخطل، شعر الأخطل، ج١، ص ص٢٩٤-٢٩٥.

(٧) كثيّر عزة، ديوان كثيّرعزة، ص ص٣٦١-٣٦٢.

(٨) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ص١٦٨٥-١٦٩١.

احترام العربي القديم لمن يستضيفه. فهذا الذئب أضافه ليلاً، وقد استقبله، على الرغم مما أُشيع عنه من الغدر والفتك، فقال:

ولو غيرنا نَبَّهْتَ تلتمس القِرى أتاك بسهم أو شَباة سنان[1]

وقال كذلك في موضع آخر:

فقاسمتُه نصفَيْنِ بيني وبينه بَقِيَّةَ زادي والركائب نُعَّس[2]

ولا بد من ملاحظة أن الفرزدق ينص على الضيافة، فقد قال: "القِرى"، وقال أيضاً: "ضافنا".

وحين قال الحطيئة:

والذئب يطرقنا في كل منزلة عَدْوَ القرينين في آثارنا خَبَبا [3]

إنما يتفق مع قول جبيهاء الأشجعي:

يَعْتَسُّ منزلهن أطلس جائع طَيّان يُتلِف مالَه ويُضيع[4]

فكلاهما يقدم صورة مسالمة للذئب، فهو يتضور جوعاً، يبحث عن بقايا طعام، يتبعهم "في كل منزلة"، وفي مبارك الإبل "منزلهن"، ولم يؤذ لا هؤلاء ولاتلك.

وفي أبيات كعب بن زهير صورة تجعل الذئب طيِّب السريرة، ويخشى من الإنسان الخوف والفتك؛ إذ عبّر عن رغبة الذئب في التعامل الحسن مع الإنسان، حتى

---

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج٢، ص٣٢٩. القرى: الطعام، شباة: حَدّ.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٧. الركائب: الإبل.

(٣) الحطيئة، ديوان الحطيئة، ص١٢٢. القرينان: مثنى القرين، وهو البعير المقرون بآخر. الخَبب: نوع من السير.

(٤) ابن جعفر، نقد الشعر، ص٣٥. طيان: جائع لم يأكل، قد طوى بطنه.

وصفه بأنه: "جاهل أو مضلل"، لأن الإنسان مستعد للفتك به، إذ بيّن خوفه الشديد من مجرد منظره، ولذلك تهيأ لرميه بنباله، فقال:

يُحب دُنُوَّ الإنس منه وما به إلى أحد يوماً من الإنس منزل
تَقَرَّبَ حتى قلت لم يَدْنُ هكذا من الإنس إلا جاهل أو مضلّل
مدى النبل تغشاني إذا ما زجرته قشعريرة من وجهه وهو مقبل

وفي محاورة بينه وبين الذئب والغراب، يبيّن كعب أنهما كائنان مسالمان، هدفهما الحصول على ما عنده من طعام، يقول:

إذا حضراني قلتُ لو تَعلَمانِه ألم تعلما أني من الزّاد مُرمِل[1]

وتكاد أبيات الكميت التي يصف فيها ذئباً لقيه تجمع بين الخصلتين: الكرم العربي، وطيب السريرة من الذئب، فلم يستخدم في أبياته أية عبارة تنم عن الشر من ناحية الذئب، بل قال: إن الذئب يعاني، ويقاسي من هذه الصحراء، حتى إنه من شدة جوعه وألمه كاد يتكلم، فقال:

تَضَوَّر يشكو ما به من خَصاصة وكاد من الإفصاح بالشَّكْوِ يُعْرِب[2]

ولكننا نصادف صورة أخرى، نجد فيها أحد الذئاب يستعد للهجوم على الإنسان، وهي صورة لم تثبتها الدراسات الميدانية في الصحراء عن الذئب العربي، إلا أن التراث الأدبي الشعبي المعاصر يؤكد هذا الوضع[3]. وإذا كان التراث الأدبي والشعبي يؤكد ذلك، فإن الدراسات الحديثة تفسره بأنه راجع إلى حالة مرضية تتعرض لها الذئاب، إذ ليس من طبيعتها كما تقول تلك الدراسات الهجوم على البشر، كما

---

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص٥١. حضراني: دنوا مني. المرمل: الذي نفص زاده.

(٢) الأسدي، شعر الكميت، ج١، ص٨٦. تضور: تألم. الخصاصة: الجوع.

(٣) غازي مهنا الشيباني، من وحي البادية (الكويت: مطابع الماضي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) ج١، ص٩٢.

ترجع ذلك أيضاً إلى ما تأصل عند الإنسان من خوف من الذئب لمنظره المفزع، ولاعتداءاته على الحيوانات التي يمتلكها في مزارعه وحظائره [١].

وقد مر بنا ما يشاع عن اقتراب الذئب من النار، مما يرسم صورة مسالمة، مناقضة لتلك المرويات التي تجعل الذئب - أي ذئب - يتهيأ لافتراس الإنسان. وصور مرور الشعراء بالذئاب في الصحراء، تتعاوى حول المياه الطامية، كثيرة جدًّا، لا تخلو منها قصيدة رحلةٍ تقريباً، فامرؤ القيس يقول:

في نَفْنَفٍ طامس الأعلام ليس به إلا ذُؤالةُ طاوٍ كَشْحُـه جُنُـب [٢]

ومع ذلك، فهو القائل، يشبه مشتار العسل بالذئب:

حتى أُتيـحَ لأَخْـذِه ذو رُجْلَـةٍ كالذئب لا يدنـو إلى إنـس [٣]

أمر غريب حقًّا!

يقول النويري:

"الذئب لا يواجه الإنسان، وإنما يأتيه من ورائه، فإن وجد الإنسان ما يسند ظهره إليه، عجز الذئب عن افتراسه" [٤].

وينقل الجاحظ صورة للطريقة التي يحتال فيها الذئب لافتراس الإنسان، كما يقول، وهي:

"إنما يكون الإنسان من مصايد الذئب إذا لقيه والأرض ثلجاء، فإنه عند ذلك يحفش وجه الأرض ويجمعه ويضرب وجه الرجل فارساً كان أو راجلاً. قال: ودقاق

---

(١) Laurence, Der Ruf der Wolfe, ss. 66 - 78. David E. Brown, The Wolf in The Southeast Arizona: (The Univ.of Arizona, press, 1983). 147 - 153.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص٣٠٣. النفنف: الصحراء الخالية. الأعلام: المنار والعلامات. الطاوي: الجائع. الكشح: الخاصرة. جنب: غريب. ذؤالة: الذئب.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٧٣. ذو رجلة: الراجل من الرجال.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص٢٧٢.

الثلج وغباره إذا صك وجه الفارس، سدر واسترخى وتحير بصره، فإذا رأى ما قد حَلّ به، فربما بعج بطن الدابة، وربما عضها، فيقبض على الفارس، فيصرعه ولا حراك به، فيأكله كيف شاء، إلا أن يكون الفارس مجرباً ماهراً، فيشد عليه عند ذلك بالسلاح، وهو في ذلك يسير ويقطع المفازة، ولا يدعه حينئذ يتمكن من النفر عليه"[١].

وليس من الواضح ما يقصده دثار بن شيبان الغمري بقوله:

يَبيت الذئب والغَثواء ضيفاً لنا بالليل بئس الضائفان
أمارس منهم ليلاً طويلاً أهجهج عن بَنِيَّ ويَعْرُواني[٢]

أيقصد دثار أن الذئب والضبع سيهجمان على بنيه أم أنهما – وقد ضافاه– جاءا يبحثان عن طعام لا يجده هو نفسه في منزله؟

أما الحالة المرضية، فقد ذكرها العرب، وهي تعرُّض الذئاب إلى داء الكَلَب، يقولون في تعريفه:

"الكلبى، جمع كلب: وأصل الكلب أن يأكل الذئب أو الكلب من لحوم الناس، أو يشرب من دمائهم، فيضرى على الناس، فإذا عَضّ ذلك الكلب أو الذئب إنساناً، كَلِبَ، فينبح الإنسان. ويقال: إنه ربما عولج، فبُرئ، فخرج من إحليله جراءٌ بُلق"[٣].

وذكروا على ذلك شاهداً قول أحدهم:

لقد ساءني والله وقّاكَ شَرَّها نفارُك منها حين جاء يقودها
فأخْرَجَ بعد الله أولاد زارع مُخَضَّرَةَ الأقراب بُقعاً جلودها[٤]

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٢٥٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١٥٩. الغثواء: الضبع. يعروان: يأتيان.

(٣) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٣٤٥.

(٤) المصدر السابق. أولاد زارع: الكلاب.

وفي تفسير آخر قالوا:

"الكلب: الذي قد عضه الكلب الكلب، أو الذئب الكلب، فيخبله، حتى يبول أمثال الذر على خِلقة الجراء"[١].

وربما وجد المرء تناقضاً في التصور، إذ إن العرب – كما العلم – يؤكدون أن الكلب، يهاجم الإنسان، فيعديه بدائه، ولكنهم في المقابل يعتقدون أن الكلب، إذا سقي دم الشريف، نجا وسلم. يقول الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم يشفى بها الكلب [٢]

ويقول عوف بن الأحوص الكلابي:

أو العنقاءِ ثعلبةَ بن عمرو دماءُ القوم للكلبى شفاء [٣]

وهذه أمور لا تستقيم علمياً، وربما عاد الاعتقاد بها إلى نواحٍ أسطورية طقسية تتعلق بالدم نفسه[٤].

ففي إحدى الأراجيز ما يبين استعداد الراجز لقتال الذئب، حيث امتشط قوسه وسهامه للقضاء عليه، ولذلك يقول:

لمالقينا بالفلاة أوسا

لم أدع إلا أسهماً وقوسا [٥]

---

(١) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، النقائض، تحقيق أ. أ. بيفان (لايدن: مطبعة بريل، ١٩٠٥م) ج١، ص١٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص٣٤٥.

(٤) انظر، فضل بن عمار العماري، الدم المقدس عند العرب (الرياض: مكتبة التوبة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ص ص ٥٩– ٦٦.

(٥) ابن منظور، اللسان، "أوس".

وفي أبيات الفرزدق نص على أن الغدر صفة لازمة للذئب.

فقال:

وأنتَ امْرُؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتُما أُخَيَّيْنِ كانا أُرضِعا بلِبَانِ[1]

وقال كذلك:

ولو أنه إذا جاءنا كان دانياً لأَلْبَسْتُه لو أنه كان يَلْبَس[2]

ولكن، هل يعني ذلك أن (الذئب) كان يريد الهجوم على الإنسان، أم أن الخوف نفسه هو الذي دفع بالإنسان إلى التهيب والاستعداد؟ فعبدالله بن ربيع كان يتوهم أن الذئب أراد الهجوم على الإنسان وافتراسه، ولذلك سَلَّ سيفه، وأقبل عليه:

فلما رآني قد حَنِست لقتله مبارزة واشتد بالسيف ساعدي[3]

وهذا أسماء بن خارجة يتصور الموقف نفسه، فيقول:

ورأيت حقًّا أن أضيِّفه إذ رام سِلمي واتّقى حربي[4]

فكلا الشاعرين اتخذ موقفاً مسبقاً من الذئب، وهو المواجهة القتالية، فلما تبيّنا أن ظنهما غير صحيح، هدأت مخاوفهما، وعادا مسالَمَين، كما الذئب مسالم معهما.

والموقف نفسه مع الطرماح الذي فصّل في بيان سلاحه، والسلاح المشهور المذكور لديهم كثيراً في مثل هذه الحالة هو القوس والسهام، وقد "احزأل" الذئب، أي: وقف بعيداً متهيِّئاً. ويبدو أن الموقف بين الاثنين كان موقف توتّر شديد.

---

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج٢، ص٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٧.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، "بتيلة". حنست: لزمت وسط المعركة شجاعة.

(٤) الزبيدي، التاج، "ضيف". أضيفه: أي أؤمنه وأسالمه.

ومراقبة مستمرة؛ لأن الطرماح لازمه وتهدده بألا يعوي حتى لاتجتمع عليه الذئاب، فقال:

فألْقَيتُ رَحْلِي واخزَألّ كأنه شفاً مُجنَحٌ في منحناه ضُجوع[1]

فقلتُ تعلم يا ذُؤالَ ولا تَخُن ولا تَخْنِع لليل وهو خَنوع[2]

ولا تَعْوِ واسْتَحْرِزْ وإن تَعْوِ عَيَّةً تُصادِفْ قِرى الظلماء وهو شبيع[3]

ولم يتوقف الاستعداد على المجابهة دفاعاً عن النفس، بل إن أعرابياً جرَّد نبله، فرمى به الذئب، لإحساسه بأنه سوف يفترس إحدى نياقه، فقال:

أقول له والنَّبل تَكْوي إهابه [4]

وقد حاول ذو الخرق الطهوي أن يقتل الذئب، ولكنه لم يصبه، ولعل ذلك يعود إلى خوف ذي الخرق نفسه من الاقتراب من الذئب، ولعل مما يدل على ذلك عبارة: "أوهنت ساقي"، ربما لارتجافه وفزعه، فلم يصوِّب سهامه جيداً:

وهاتفة لأُطْرَيْها حفيف وزُرقٍ في مُرَكَّبة دِقاقِ

فلو أني رميتك من قريب لعاقك عن دعاء الذئب عاقِ

ولكني رَمَيْتُك من بعيد فلم أفعل وقد أَوْهَنْتُ ساقي [5]

أما المرة الأولى التي نجد فيها نوعاً من المجابهة المباشرة، فهي قصة مالك بن الريب الذي يقتل الذئب حقيقة، ومالك معروف بشجاعته وفتكه، إذ يقول: إن

---

(١) شفا: حَدّ. مجنح: مائل. الضجوع: الميل والانخفاض.

(٢) ذؤال: ترخيم ذؤالة أي الذئب. تعلم: اعلم. الخنوع: الغادر. لا تخنع: لا تثق به، وكن منه على شك وريبة.

(٣) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ص١٨٩ - ١٩٠ استحرز: استحصن. القرى: طعام الضيف وهو يريد به السهم، القاتل الذي يهدد به الذئب. الظلماء: الليل المظلم.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، "دارة واسط". إهابه: جلده.

(٥) ثعلب، مجالس ثعلب، ج٢، ص١٥٤. هاتفة: مصوِّتة. أطراها: أطرا القوس منحناها. زرق: الأسنة.

الذئب حاول الاعتداء عليه، فحاول أن يطرده، ولكنه عاود الكرة مرات للهجوم عليه، ولما يئس من طرده، علاه بسيفه، فقتله[١].

ويبيّن البيتان التاليان المشاعر المختلفة السابقة والاعتقاد السالف، فهذا رجل من عبد شمس بن سعد يقول:

تضيَّفني وهنا فقلت أسابقي إلى الزاد شُلّت من يَدَيَّ الأصابع؟
فلم تلق للسعدي ضيفاً بقفرة من الأرض إلا وهو عُريان جائع[٢]

يعني: أن الضيف لا يتضيف أحداً في الأرض القفر، والذئب إذا استضاف السعدي، جاع، فلا يأكل من لحمه إذا افترسه، وذلك لشجاعة السعدي.

ويدّعي العارم أن الذئب جاءه ليأكله وأبناءه، فيقول:

تَسَدّى بليل يبتغيني وصِبيتي ليأكلني والأرض قفر بلاقع[٣]

ويقول الفرزدق في المعنى نفسه، وهو يمدح الوليد بن عبدالملك، وكيف أن الجَدْبَ قذف بالذئاب الجائعة إلى مواثبة العيال:

وكم من مناد والشريفان دونه إلى الله تشكي للوليد مفاقره[٤]

إلى أن يقول:

يبيت يرامي الذئب دون عياله ولو مات لم يشبع عن العظم طائره[٥]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ص٣١٥-٣١٦.

(٢) أبو عثمان، سعيد بن هارون، الأشناندانى، معاني الشعر، تقديم: صلاح المنجد (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٤م) ص١٦.

(٣) الزبيدي، التاج، "بلقع". تسدى: علا وبرز.

(٤) الشريفان: أراد بهما الشُّرَيف والشرف موضعين بنجد. مفاقره: وجوه فقره؛ وقيل: هو جمع فقر، على غير قياس.

(٥) ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٤٨.

يرامي: ينظر. لم يشبع عن العظم طائره: لم يجد الطائر لحماً على عظمه يأكله، لشدة هزاله.

وهكذا، يقال: ذئب عَدَوان يعدو على الناس[١].

وقد اتفقوا على أن:

"الذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز، عوى عواء استغاثة، فتسامعت الذئاب، فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان، فتأكله"[٢].

وفي هذا يقول قائلهم:

بل كنتَ كالذئب رأى عَجْزَه فاستَنْجَدَ الذؤبانَ واستفرا [٣]

ولكنهم يعودون، فيجعلون الاجتماع على الذئب الهارب، وليس على الإنسان، فيقولون في عبارات مماثلة:

"إذا جاع، عوى، فتجتمع الذئاب حوله، فمن هرب منها، أكلوه".

كما أضافوا:

"إذا خاف منه الإنسان، طمع فيه"[٤].

ثم إنهم بعد ذلك خصصوا الذئاب التي تعتدي على الناس في نوع واحد منها، وصفوه بقولهم:

"ما خَبُث من الذئاب، وفَسَد أصله، أكل الناس، وسائرها لا تأكل"[٥].

ثم جاء البحتري، فبيّن سبباً قد يكون مقبولاً، فيما روي عن اعتداء الذئب على الإنسان، وذلك مناقضة لكل التقارير العلمية عن الذئب في حالة مرضية - وهو

---

(١) ابن منظور، اللسان، "عدا".

(٢) أبو محمد، عبدالله بن مسلم، ابن قتيبة، عيون الأخبار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م) ج٢، ص٩٧.

(٣) أبو الفتح بن الحسن كشاجم، كشاجم، المصايد والمطارد، تحقيق: محمد أسعد طلس (بغداد: دار المعرفة، ١٩٥٤م) ص١٠٤.

(٤) الأبشيهي، المستطرف، ج٢، ص١٢٨.

(٥) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص٥٩.

أن الجوع كان الدافع الرئيس لتلك الحالات، فإذا كان جميع الشعراء، قد أفادونا أنهم إما أن يواجهوا الذئب بالاستعداد أو الهجوم فالقتل، وإلا فإن خطر مداهمة الذئب لهم واردة، فإن البحتري هو الشاعر الوحيد - بل الإنسان الوحيد في كل المرويات التي تجمعت حتى الآن، سواء في التراث العربي أو في غير التراث العربي - الذي أخبرنا أنه أكل جزءاً من الذئب، على الرغم من أن التحقيقات الإخبارية الأخرى في بعض المناطق العالمية تقول إن رائحة لحمه كريهة جداً، وهو ما وصفه البحتري بـ "خسيساً"، ولم يأخذ بقية لحمه معه. ويعلل البحتري ذلك بالجوع، فإما أن يأكل ما يسد به جوع، وإما أن يهلك في تلك البيداء. فإذا كان هذا هو وضع الإنسان في الصحراء العربية، فمن الأولى بالوحش المفترس، إذن، أن يفعل الشيء نفسه، خاصة أن البحتري ليس مثل بقية الشعراء الذي قالوا: إنهم كانوا يرمون للذئب بشيء من الأكل، فيقتنع به ويمضي.

يقول البحتري [1]:

سما لي وبي من شِدّة الجوع ما به ... بِبَيْداء لم تُعْرَف بها عِشيةُ رَغْد

يقول بعد قتله:

وقُمتُ فَجَمَّعْتُ الحَصى فاشْتَوَيْتُه ... عَلَيْه وللرَّمضاء من تحته وَقد

ونِلتُ خَسِيساً منه ثُمَّ تَرَكْتُه ... وأَقْلَعْتُ عنهُ وَهْو مُنْعَفِرٌ فَرد

وفي الأبيات كذلك، ناحيتان، الأولى وهي أن هذا اللقاء المميت بينهما، كان في فصل الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة ارتفاعاً عالياً، فتحرق كل أثر للحياة، مما يضاعف الإحساس بالموت والحاجة إلى الغذاء، كما قال: "وللرمضاء من تحته وقد". أما الأخرى، فصورة هذا اللقاء بينهما: صورة الذئب وهو منقض على الإنسان في

---

(١) البحتري، ديوان البحتري، ج١، ص ص١٩٦ - ١٩٧.

سرعة كسرعة البرق، وطريقته في الانقضاض هي أن يعوي وهو متوثب للقتال، وذلك فيما يبدو لمناداة من حوله، ثم يهجم ذلك الهجوم، يقول:

عوى ثم أقعى فارتجزت فهِجته فأقبل مثلَ البرق يَتْبَعه الرعد

ثم صورة الإنسان - وهو هنا إنسان ليس أعزل، بل معه سلاح - وهو يواصل رمي نبله، حتى أصاب مكامن قلبه، فقتله، يقول:

فأوْجَرته خرقاءَ تَحْسِبُ ريشَها على كوكب يَنْقَضُّ والليل مُسْوَدّ

ثم قوله:

فأتْبَعتُها أخرى فأضللت نَصْلَها بحيث يكون اللُّبّ والرُّعْب والحِقد

ثم يقول:

ونِلْتُ خَسيساً منه ثم تركتُه وأقْلَعْتُ عنه وهو مُنْعَفِرٌ فَرد

ومن الطريف أن يوجّه القدماء اتهاماً إلى البحتري، الشاعر العباسي، بسرقة هذه الأبيات الشهيرة في شعره، وأن تنسب إلى عصر أول الإسلام، مما يوحي أنها عادت إلى عصر سابق عليه، وأن رجلاً تصرف هذا التصرف، إما لاعتقاد ما يجيز أكل الحيوانات المفترسة، وإما تحت إلحاح الجوع.

فقد ذكر أبو العلاء المعري:

أن هذه الأبيات منسوبة إلى الصحابي، عبدالله بن أنيس الأسدي [1].

وفي هذا الشك يقول كشاجم:

"وقال أبو عبادة البحتري، في قصيدة طويلة. وقد شك فيها أنها له، لقربها من ألفاظ الأوائل ومعانيهم"[2].

---

(١) أبو العلاء المعري، عبث الوليد، تحقيق: ناديا الدولة (دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص ص٢٦٩ - ٢٩٧.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص١٠٧.

وينقل هبة الله المزيدي، صاحب المناقب المزيدية، تفاصيل هذا الشك على النحو التالي: [١]

"أخبرنا القاضي أبو المعالي أيضاً بالإسناد المذكور عن ابن دريد عن أبي الحسن أحمد بن محمد العبدي البلاذري، قال: كنت عند أبي المغيث بشر بن علي العجلي في قرية يقال لها: عم بعمق أنطاكية، وكان رئيساً موسراً مثرياً ذا مال، قد حلب الدهر أشطره، ولاقى منه صفاءه وكدره، لا يرد عن مطلب، ولا عن أرب، يتهلل عند السؤال، ويستقل كثير النوال، قد حفّه بنوه كالسيوف مضاء، والشموس ضياء، والليوث صيالاً، والغيوث سجالاً، قد رضعوا الحلم، وفروا عن العلم، صمتهم عن غير عيٍّ، ونطقهم يستنزل الأعصم الأبي، كأن أم ذفر مسالة لمن سألوا، مكالمة لمن كالموا، قد احتووا على البيان، وانصرفت إليهم الفصاحة، يحبون قومهم، ويذكرون مآثرهم، ويتنادمون بحرب بكر وتغلب، ووقعة ذي قار، فأقبل علينا يوما رجل بدوي كأنه ذو زول حبس، لم يبق منه إلا جلد وعظم، وعليه أطمار قد سملت، فبقي منها السدا دون اللحمة، وتحت أبطه مزود من مسك ضب، فقال: السلام عليكم! ومد بها صوته، فقال له العجلي: وعليكم السلام، كن ربعياً، فقال: ربعي والله، فقال: وكن عجلياً، قال: أو من أخواتها، قال: من أي أخواتها، قال: من حنيفة، فقال: سيان عليك عجل وحنيفة. من أين أقبلت؟ قال: من تهامة، قال: فعلى أي طريق جئت؟ قال: البَرّ البَرّ، قال: فما كان طعامك؟ قال: البسيس، قال: وما البسيس؟ فأخرج المزود، فنكّته بحضرة القوم، فإذا فيه دقيق شعير قد لُتّ بالسمن؟ قال: كم أكلك من هذا؟ قال: السفة [٢] غدوة ومثلها عند الأصيل، قال: فما خفت السبع؟ قال: أما الليث، فمع عدم الرجع

---

(١) أبو البقاء، هبة الله الحلي المزيدي، المناقب المزيدية. تحقيق: صالح موسى ومحمد عبدالقادر (عمان: مطبعة الشرق، ط١، ١٩٨٤م) ج١، ص ص٣٥٣ - ٣٥٨.

(٢) السفة: من السويق بالضم، أي: حبة وقبضة منه.

لايكون، قال: فالذئب، قال: قد لقيني واحد وهَمّ بي، وهممت به، وقتلته واشتويته وأكلته، قال: فهل قلت في ذلك شيئاً، قال: نعم! وأنشد:

وليـلٍ كـأن الصبح في أُخْرِياتِـه ... حَشاشَةُ نَصْـلٍ ضَمَّ أفْرِنْدَه غمد[1]
تَسَرْبَلْتُـه والذئب يَقْظـان هاجـع ... بعينِ ابنُ ليلٍ ما لها بالكرَى عهد[2]
أُثيرُ القطا الكُدْريَّ عن جَثَمَاتِه ... وتَأْلفُني فيه الثعالب والرُّبد[3]
وأَطْلَسَ ملْءِ العَيْنِ يَحْمِل زَوْرَه ... وأَضْلاَعه من تحتهن شوىً نَهد[4]
له ذَنَبٌ مِثْلُ الرِّشاءِ يَجُرُّه ... ومَتْنٌ كَمَتْنِ القَوْس أعْوَجُ مُنْآد[5]
طواه الطَّوى حتى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ ... فلم يبق إلا الروح والعظم والجلد
يُقَضْقِضُ عُصلاً في أَسِرَّتها الرَّدى ... كَقَضْقَضَة المَقْرُور أرْعَدَه البرد[6]
سما لي وبي من شِدَّة الجوع مابه ... بِبَيْدَاءَ لم تُعْرَفْ بها عيشة رَغْد
كلانا بها ذئبٌ يحدِّث نفسَه ... بصاحبه والجِدُّ يُتْعِسُه الجِد
عوى ثم أَقْعى فارْتَجزْت فهِجْتُه ... فأقبلَ منه البَرق يُتْبَعه الرعد[7]
فأوجَرْته خَرقاءَ تَحْسِبُ ريشَها ... على كوكب يَنْقَضُّ والليل مُسْوَد[8]

---

(١) أفرند السيف: جوهره ووشيه.

(٢) ابن ليل: أي سار، يعني نفسه.

(٣) الكدري: المائل إلى السواد والغبرة.

الربد: جمع أربد، وهو الأسد، وقيل: الحية الخبيثة، أو الأسود المنقط بالحمرة.

(٤) الأطلس: الذئب.

(٥) الرشا: الحبل. المنآد: المعوج.

(٦) يقضقض عصلاً: يصوت بأسنان صلبه معوجة. الأسرة: الخطوط. المقرور: الذي أصابه البرد.

(٧) أقعى: جلس على مؤخرته، ارتجز: رفع صوته.

(٨) أوجرته: طعنته. الخرقاء: أراد بها السهام.

Obeikandi.com

فما ازداد إلا جرأة وصرامة وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتُها أخرى فأثبتُّ نَصْلَها بحيث يكون اللُّبُّ والرُّعْب والحِقد
فَخَرّ وقد أَوْرَدْتُه مَنْهَلَ الرَّدى على ظَمَأ لو أنه عَذْبَ الوِرد
وقُمت فجمَّعت الحصا فاشْتَوَيْتُه عليه وللرَّمْضاء من تحته وَقْد
ونلت قليلاً منه ثم تركته وأقلعت عنه وهو مُنْعَفِر قرد[1]
فمات وأحياني وقد كنت قبله يَذِلُّ لي ضَرْغَامةُ الأَسد الوَرِد
لقد حَكمت فينا الليالي بحكمها وحُكم بناتِ الدهر ليس لها رَد
من الحق أن يُصلى الكريم بحَرِّها ويأخذ منها صَفْوَها القَعْدَدُ الوغد[2]
ذَرِيني من ضَرْب القداح على السُّرى فعزميَ لا يُثنيه نَحْس ولا سعد
لِيعَلَمَ من هابَ السُّرى خَشْيَة الردى بأن قضاء الله ليس له رَدّ
وإن عِشت محموداً فمثلي حَوى الغنى لِيَكْسِبَ مالاً أو يَثُوب له مجد
وإن مِتُّ لم أَظْفَر فليس على امرئ غدا طالباً إلا التَّرَحُّلَ والجُهْد

قال: ثم رمانا الدهر بسرعة النوى، وتشعبنا أيدي سبأ، وتفرقنا صدوعاً كأنا لم نجتمع جميعاً، فلم أزل في حل وترحال، حليف هموم وأوجال، فلما مضى حول، لقيت البحتري فنافثته حديثي، وباثثته أمري، وأخبرته الخبر، وأنشدته الشعر، فقال: هذه قصيدتي، وهي طويلة، فعجبت من ذلك، ثم دعا ابنه أبا الغوث، فقال: جئني بالدفتر الفلاني، فجاءه به، فلم يكن فيه شيء، فجاءه بآخر، فلم يكن فيه شيء، فجاءه بآخر، وكانت هذه صفته، فقال: مجنون! إذا كان في غد أخرجته إليك،

(١) المنعفر: الممرغ بالتراب.

(٢) القعدد: الجبان واللئيم.

فلما كان من الغد، أخرج إليَّ دفتراً مكتوباً بخط رطب قد وشر بنشارة خشب مما صنعته أيديهم، وإذا به قد حفظها من وقته وسرقها، وادّعاها لنفسه، وصنع لها أولاً، فقال:

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد أما لكم من هجر أحبابكم بد
أأحبابنا قد أنجز البين وعده وشيكاً ولم ينجز لنا منكم وعد

ومر في القصيدة إلى حيث شاء، ثم جاء بالأبيات فيها، وأثبتها في ديوانه".

وقد أحس أحد المعاصرين بهذا، مع أنه لم يشر إلى المصدر المذكور، فقال:

"ويلوح لي أن القطعة مقحمة إقحاماً في وسط قصيدة خصصت في...".

وهو يعلل هذا بقوله:

"ويطالعنا البحتري بشجاعة غريبة، لم نعهدها فيه، فهو الذي توارى خلف ستائر الشبابيك حين قتل الخليفة المتوكل على مرأى ومسمع منه، وصف البحتري الذئب والمعركة التي نشبت بينهما، بدأها بوصف الليل، ثم ادعى البداوة، وما هو منها بشيء، ومضى ينسج خيوط المعركة متكلفاً كأنه ممثل على خشبة مسرح يؤدي دوره في تسلسل منطقي، فقد عوى الذئب، ولم يهجم بل أقعى، وانتظر البحتري حتى يتم ارتجازه فيثيره، ثم يقبل مهاجماً مسرعا كالبرق، ولا يعجبه أن تنتهي المعركة بالسهم الأول، فلا بد من كر وفر وبعدهما يسقط الذئب صريع السهم الثاني، الذي استقر في القلب موطن اللب والرعب والحقد"[1].

إن عودة إلى رواية الخبر، تجعلنا نعيش في القرن الثالث الهجري، إذ توفي أبوعبادة البحتري (سنة ٢٨٤هـ)، وابن دريد توفي (سنة ٣٢١هـ)، وهو الذي نقل الخبر عمن عاصر البحتري واتهمه. ولكن أبا العلاء المعري (ت٤٤٩هـ)، ينص على أن

(١) عبدالقادر حسن أمين، شعر الطرد عند العرب (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢م)، ص٢٦٧.

التهمة قديمة جداً. ونكون حينئذ قد وقعنا في تضارب الروايات، التي تجعل المتَّهِم متَّهَماً، وتميل بعد ذلك إلى إنصاف المتهم. ثم يأتي المعري ليلغي أي شك تبقّى حول الاتهام، فيقول تعليقاً عليه:

"ولا ريب أن ذلك باطل"[١].

هذا من زاوية موضوعية، أما من زاوية نقدية، فإن أبيات الأعرابي، تختلف بعض الشيء عن أبيات البحتري، فليس فيها أبيات الفخر الأخيرة التي ذكرها الأعرابي، ولا تتضمن الأبيات الثلاثة الأولى منها. وجوّها العام قريب جداً من البدواة والتوحش. حقّاً هناك تشابه في بعض ألفاظها وعباراتها، كما تتفق معها في الوزن والقافية، ولكن ذلك لايجعل القصيدة مسروقة، إذ يمكن أن يكون البحتري قد استلهمها فنيّاً، وقد يكون تأثر بها — إن أخذنا برواية الاتهام — فصاغها صياغته الخاصة بها.

ثم جاء الشريف الرضي، واستوحى الصورة نفسها، والأحاسيس ذاتها، فقال قصيدة في لقاء الذئب، أنهاها بما يعني أن الجماعة أكلت الذئب، يقول:

له الويل من مستطعِم عاد طُعمةً لِقَوْم عِجال بالقِسِيّ النوازع [٢]

وهناك أبيات رجل مجهول من أهل اليمن يذكر فيها أن أمه أكلها الذئب، وتدل على أن الذئب يهجم على الإنسان، ويفترسه حقّاً، حتى أنه، كما يقول:

فلم يَبْقَ منها غيرُ نِصفُ عِجانها وشُنْتُرَةٍ منها وإحدى الذوائب [٣]

---

(١) المعري، عبث الوليد، ص ص٩٦-٩٧.

(٢) أبو الحسن، محمد بن أبي أحمد الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) ص٦٦٢.

(٣) البكري، أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز، سمط اللآلي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م) ج١، ص٣٧٨. العجان: بلغتهم، موصل العنق في الرأس. الشنترة: الإصبع.

وربما كان ذلك راجعاً إلى حالة مرضية أصابت الذئب، وربما يكون بتأثير الجوع، وربما هو واقع الذئب، وربما يقول قائل: إن هذه الأبيات مصنوعة من أجل اللغة، لما تحتويه من ألفاظ لغوية غريبة نُسبت إلى اليمن.

ولكن عبيد الله بن ربيع يذكر حالة يؤيدها التراث الشعبي المعاصر في الجزيرة العربية — وهي أن الذئب إذا رأى إنساناً، راح يعوي مستدعياً الذئاب الأخرى، لكي تنقض على الإنسان، فهو يقول:

عوى عند نضوي يستغيث أليفه [١]

وفي صورة أخرى مماثلة يشبِّه سليمان بن عياش اللصُّ مجموعةَ لصوص من قبائل سليم وعامر وعبس، وهم يلقون ركباً، فيتنادون من كل جانب لسلبهم، كما تتعاوى الذئاب للافتراس، فيقول:

ذئاب تعاوت من سُليم وعامر وعبس وما يَلقى هناك ذئابها [٢]

وهم يذكرون أن في شمال القصيم حتى الحفر ذئاباً تأكل الناس[٣].

وقد مَرّ بنا تهدد الطرماح الذئب بألا يعوي، فتجتمع إليه الذئاب، كما مر بنا قول ذي الخرق:

لَعَاقَكَ من دُعاءِ الذئب عَاقِ

وذلك على الرغم من أنه أخطأ المرمى، ثم إنه أنهى القصة دون أن تجتمع عليه الذئاب.

وهكذا، يتبين لنا أن علاقة الإنسان بالذئب في الصحراء العربية، تكشف عن إعجاب شديد بشجاعة الذئب وسعيه للحصول على طعامه، حتى إن عبيد الله بن

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، "بتيلة".

(٢) المصدر نفسه، "بسيان". سليمان بن عياش أحد اللصوص، في العصر الأموي.

(٣) المصدر نفسه، "الفرع".

ربيع يتمنى أن لو كان الذئب أخاً له، فيقول:

فولّى فتىً شاكي السلاح لو أنه أخي لم أبِعه من مَعَدٍّ بواحد
فتىً يكسب المعدوم حتى رفيقُه مُدِلٌّ بِشَدّات الكَمِيّ المناجد [١]

ولعل في قصة الرجل الذي التقى الذئب ليلاً، وقد كان الظمأ يقتله، فحمله فوق راحلته حتى أوصله إلى الماء، وترك معه بقية زاده، ما يُبْرِز تلك العلاقة على أكمل وجه، والقصة تدور في الإطار السابق في محاولة اقتراب كل من الذئب والإنسان أحدهما بالآخر، إلا أن عامل التوجس يحول دون تعميق ذلك إلى تكوين صداقة مستمرة، ويبدو أن الإنسان هو الذي يحمل الجانب السلبي تجاه الذئب، خاصة مع ما أشيع عن الذئب من خيانة وغدر، يقول ذلك الرجل:

أراقب رِدفي خشية أن يخونني وفي منكبي إن حاول الغدر زاجره [٢]

وعلى هذا يمكن أن نستنتج قلة الذئاب العربية، فعلى الرغم من هذه الأشعار التي تدور حول الذئاب، فإنه لمن الطبيعي ألا تكثر الذئاب في الجزيرة العربية، وذلك يرجع إلى البيئة نفسها، وإلى علاقة الإنسان بالذئب. فالطعام ليس متوافراً في هذه الأرض، كما أن الإنسان يطارده، ويقتله عندما يقترب من منازله. أما في البيئات الأوروبية والأمريكية، ومناطق الأعشاب (السافانا)، فإن الذئاب كثيرة العدد، ولها مناطق محمية تصل إلى مئات الكيلومترات[٣].

وهذا واضح من الشعر العربي نفسه، حيث وجدناهم يُشيرون في لقائهم كثيراً إلى ذئب واحد، كما في قصص المرقش والفرزدق[٤] والبحتري سابقاً. أو إلى ما نفترض

---

(١) المصدر السابق، "بتيلة".

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص ص٢٠٦-٢٠٧. يعني: في منكبه سيفه.

(٣) انظر، Mech, The Way of the Wolf, pp. 15-16

(٤) انظر، الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص٤٦٦ ؛ الفرزدق ، ديوان الفرزدق، ج٢، ص٣٢٩.

أنه أعداد قليلة جدّاً، كما في قصة لبيد[١]، ولعل أعداد الذئاب تزيد نوعاً ما في الأطراف الجنوبية للجزيرة العربية، كما ذكر ذلك الشنفرى مثلاً في لاميته.

وتجدر الإشارة إلى أن الخيال ربما لعب كثيراً فيما تداوله الشعراء بينهم عن الذئاب، ولعل الفخر بلقاء الذئب ليلاً، والاستعداد له بالسهام والنبال، هو فخر تعويضي عن حالة العجز والخوف التي يشيعها الذئب في نفس الإنسان عند أول لقاء، إذ إنه من المعروف أن الذئب يهاجم بسرعة فائقة، وينقض انقضاضاً جارحاً قد يعيق الإنسان عن الحركة نهاراً، وهو يهاجمه، إذا ما هاجمه، متوخيّاً القبض على رقبته، فيمزقها بأنيابه التي تشبه المعاول، بينما تمزق مخالبه جسده، وليس أمام الإنسان في هذه اللحظات إلا الاعتماد على ذكائه وقدراته العضلية التي تُخفق في التغلب على قوة الذئب، ومن هنا يصبح استخدام النبال والسهام في رمي الذئب، مسألة مشكوكاً في تأثيرها، مهما بلغ الإنسان من القدرة على تحديد الهدف، وذلك إزاء مراوغة الذئب واستعدائه.

أما الأمر الآخر، فإن تلك الصورة التي حاولت أن تقرّب علاقة الذئب الجائع بالإنسان في الصحراء، كانت تحمل في طياتها عدم الاطمئنان منه، وكانت تتعامل معه بحذر شديد؛ ولهذا، فإن لوحة الذئاب الرائعة التي قدمها الشنفرى في لاميته، لم تتعد رسم المشهد من بعيد، ولم توجد أي نوع من الاتصال بين الشنفرى في اختراقه الأرض والذئب في تشرده، وها هو الأحيمر السعدي الشاعر الصعلوك، يقول:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى ... وصوت إنسان فكِدت أطير[٢]

كما يقول:

أراني وذئبَ القفر إلفين بعدما ... بدأنا كلانا يَشْمَئِزُّ ويُذْعَر

---

(١) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد، ص ص ٢٧، ٣٨.

(٢) حبيب بن أوس، أبو تمام، الوحشيات، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٠م) ص٣٤.

تألفني لما دنا وألفته ... وأمكنني للرَّمي لو كنت أغْدِر
ولكنني لم يأتمنيَ صاحب ... فيرتابَ بي ما دام لا يَتغير[(١)]

وتحاول هذه الصورة أن تجمع بين لقاء الذئب والاطمئنان إليه والخوف منه، فهل تحوَّل هذا اللقاء هنا إلى صداقة حقيقية؟ إنه يقول: إنهما أصبحا إلفين، وربما كان ذلك، وربما يكون مجازا تعبيراً عن الوحشة والانقطاع في الصحراء، وربما يكون ذلك صحيحاً، ولكن الصورة العامة عن الذئب تظل هي الصورة في جميع الآداب العالمية، وهي الخوف البشري المتأصل من الذئب.

وعلى الرغم من تلك الصورة التي قدمها الأحيمر، فإن صورة ذئب تأبط شرّاً مختلفة عن ذئب نظيره الشنفرى مثلاً، فذئب تأبط يمثل تأبط في البسالة والإقدام، أما الشنفرى، فيلتقي مع تأبط شرًّا في تشبيه نفسه بالذئب، وهو: "يعس"، على حين أن لوحة الذئاب عنده ترسم جَوَّ الوحدة والاجتماع: تفرُّق ثم اجتماع، فتفرق، وفق تخطيط مُعَيّن.

وفي ضمن هذا الإطار، يمكن القول: إن صورة القتل التي ترددت في بعض الأشعار كان سببها الإنسان نفسه، فلقد اختزن الإنسان في ذاكرته صورة موحشة مرعبة للذئب، وإنه ليعكس هذه الصورة إذا ما اصطدم فجأة به، وحيث إن الذئب قد اختزن هو نفسه أيضاً صورة مرعبة عن الإنسان، فإن الاثنين ينفران من بعضهما عند أول لقاء، ويتحول ذلك النفور إلى تناقض نفسي في الموقف، مما يحمل بعضهما على بعض. ولعل ذلك القتل المنسوب إلى الذئب، أو محاولة الهجوم، إنما كانا من ذئب ينتسب إلى الطبقة العليا Alpha، أو من يأتي عقبها مباشرة Beta، فهما النوعان

---

(١) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: ج٢، ص٧٨٨.

اللـذان يتميـزان بخصائـص شخصية بـارزة. أمـا حوادث المسالمة، فلعلها وقعت مـن ذئاب دُنْيا، أو من ذينك النوعين، بعد ما حدث تراسل بين الطرفين: الإنسان والذئب، وانتقلت بينهمـا شفرة موادعـة ومسالمة، كانت نتيجتهـا عقـد مصالحة ومودة وإخاء.

وفي القرآن الكريم حكاية عن تآمر إخوة يوسف عليه السلام، وادعائهم أن الذئب أكله، ولكن الله سبحانه وتعالى يدحض هذا الادعاء، فيقول: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨].

إن هذا يدلنا على أن الذئب السليم، أو غير المشرف على الهلاك جوعاً، لايعتدي على الإنسان أبداً، وقد أقرَّ بعض العرب بهذا، فقال عويف القوافي:

لولا سواه لَجَرَّرَتْ أَوْصَالَه عُرْجُ الضِّباعِ وصَدَّ عنه الذيب

يقول: "لولاه، لتركه جيفة تجره الضباع، ولا يقربه الذئب؛ لأنه لا يأكل الميتة"[١].

ولكنهم يتناقضون، فيعلقون على قول حميد بن ثور الهلالي:

إذا ما غدا يوما رأيت غَيابة من الطير ينظرن الذي هو صانع

"أن الذئب يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يثب عليه؛ لأنه من بين السباع ما يرغب في القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه"[٢].

ومن التناقض رواية قول ربيعة بن الجحدر الهذلي، وشرحه على أنه في الذئاب:

وقِرنٍ صريعٍ قد تركتُ مجدَّلاً يطوف به العاسلات اللغاوس [٣]

---

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج١، ص٤٦١.

(٢) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، حاشية ص١٠٦.

(٣) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج٢، ص٦٤٦. مجدلاً: مصروعاً مقتولاً. اللغاوس: الذئاب التي تأكل أكلا سريعاً.

وهذا أيضاً يتناقض مع الظن بأنه:

"إذا دَمِيَ الإنسان، وشم الذئب منه ريح الدم، فما أقل ما ينجو منه، وإن كان أشد الناس بدناً وقلباً، وأتمهم سلاحا، وأثقفهم ثقافة"[١].

وقول ابن فضل الله العمري:

"إن دمي إنسان، فشم الذئب رائحة الدم منه، قاتل عليه، حتى يبلغ إليه، فيأكله"[٢].

ومع كل هذا، فإن تأكيدات العلم التي جاءت من مناطق أوروبية، وإن كان بعضها يتطلب الدليل، مازالت تحتاج إلى توثيق أكيد من تجارب تُجرى، وملاحظات تُبدى على ذئاب الجزيرة العربية.

وربما ذهب الظن بنا إلى أن هذه الصورة هي صورة للضبع، والذي ظُن كثيراً بأنه الذئب، ثم عُمِّمت الصورة، لتجعل كل الذئاب على هذه الشاكلة، ولعل رواية متن بيت ربيعة بن الجحدر الهذلي السابق: "يطوف به الخامعات" هي الرواية الصحيحة، حيث تعني الضباع.

والسؤال بعد:

إذا كان الذئب الطبيعي، لا يعتدي على الإنسان، فلماذا قالوا في أمثالهم:

"من لم يكن ذئباً، أكلته الذئاب"[٣]؟

هل هذا إسقاط لما في النفس، أو هو هروب من الاعتراف بواقع الإنسانية نفسها؟

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٦٤.

(٢) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص٦٠.

(٣) أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري، بهجة المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨١م) ج١، ص٣٦٣.

وألا يتبين هذا في قول ابن الرقيات:

ذاك خير من البَليخ ومن صَوْ ت ذئابٍ عَلَيَّ يَدْعُون ذيبا؟[١]

وأليس هذا أكثر وضوحاً في قول ابن هرمة:

ليت السباع لنا كانت مجاورة وأننا لا نرى ممن نرى أحدا

إن السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرُّهم أبدا؟[٢]

و"السباع يعنون بها: الذئاب"[٣].

بل إن هذه الفكرة قديمة نجدها في قول المثقب العبدي:

لا تراني رابِعاً في مجلس في لحوم الناس كالسَّبُع الضَّرِم[٤]

وعلى العموم، فإن التراث الأدبي يتوافق مع التراث الشعبي المعاصر في اتهام الذئب بالاعتداء على الإنسان، ولكن من المثير جداً أن نجد التراث الأدبي يقول في الذئب:

"ومن شأنه أنه إذا لقي الفارس والأرض مثلوجة أن يخدش الأرض بيديه، ويرمي وجه الإنسان بالثلج ليدهشه، ثم يبعج دابته ليصرعه، فيتمكن منه، فإذا رأى ذلك الفارس المجرب، عاجله بالركض والقتال، فقطع المفازة"[٥].

وفي التراث الشعبي المعاصر في الجزيرة العربية ما يشبه هذا، إذ يقال:

"معروف عنه أنه لا يفترس الإنسان النائم حتى يستيقظ ثم يهجم عليه، كان

---

(١) عبيدالله بن قيس الرقيات، ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق: محمد يوسف نجم (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١١٠. البليخ: نهر بالرقة، يصب في الفرات.

(٢) ابن منظور، اللسان، "هدأ".

(٣) انظر، العماري، الذئب في الشعر العربي القديم، ص١.

(٤) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص٥٨٩. الضرم: الشديد النَّهَم.

(٥) أبو أحمد بن محمد الخشاب، المنصوري في البيزرة، تحقيق: عبدالحفيظ منصور (تونس: بيت الحكمة، ١٩٨٩م) ص ص١٥٤- ١٥٥.

المسافرون قديماً عند رؤيتهم لـه يقومون فوراً بلف قطع من القماش أو أشمغتهم حول حلوقوهم وبطونهم"[١].

على أن الشعر العربي يقرن دائماً بين القتلى في المعارك ووجود الذئاب، كقول عبدالمسيح بن عسلة:

ومُسْتَلَبٍ مِن درعه وسلاحه   تركنا عليه الذئبَ يَنْهَسُ قائما[٢]

وقالت الخرنق:

وأردينا ابن حسحاس فأضحى   تَجول بشِلوِه غُبْسُ الذئاب[٣]

ويقول طرفة:

بأسفلِ وادٍ من أَخَلَّةَ شِلْوُه   تُمَزِّقه ذؤبانه وجيائله

ويقول مالك بن الحارث الهذلي:

ويوماً نقتل الأبطال شَفْعاً   فنتركهم تنوبُهم السراح[٥]

ولكن الصورة البشعة جداً، هي الصورة التي نقلها جرير، متّهماً الفرزدق:

وكم لك يا بن القَيْن قد جاء سائلاً   من ابن قَصِير الباع مِثْلُك حامله

أَتَيْتَ به بعد العِشاء ملفّفاً   فألقيتَه للذئب فالذئب آكله[٦]

---

(١) بنونة، التعايش، ص٢٠٣. أشمغتهم: أغطية الرأس.

(٢) الأنباري، شرح المفضليات، ص٦٠٧. وانظر: قول حميد بن ثور الآتي.

(٣) الخرنق بنت بدر بن هِفّان، ديوان شعر الخرنق، تحقيق: حسين نصار (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٩م)، ص٣٣.

(٤) طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص١٨٧. أخلة: واد باليمن. جيائل: جمع جيأل، وهو الضبع.

(٥) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص٢٣٧. شفعاً: اثنين اثنين. السراح: الذئاب.

(٦) جرير بن عطية، ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م)، ج٢، ص٩٧٣.

obeikandl.com

أكل لحم الذئب:

يتضح من قول البحتري، أو الأعرابي، أنهم كانوا يأكلون الذئاب حقيقة، ولاسيما عندما يضطرهم الجوع إلى ذلك، ونجد تصديق هذا في الحكاية التالية:

"أضافني رجل من الأعراب، فجاءني بقدر جماع ضخمة، ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم، فإذا بضعة تنمات في فمي، وبضعة كأنها بضع ساق، وبضعة كأنها شحم زخم. فقلت: ما هذا؟ قال: إني رجل صياد، جمعت بين ذئب، وظبي، وضبع"[١].

وتثبت الملاحظات العلمية المعاصرة أن البدو يأكلون الذئاب، لاعتقادهم بمنافعه[٢].

والدليل على أن العرب كانوا يأكلون الذئب أن الرسول ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع[٣]، وهذا يعني أن العرب أكلت الذئب[٤] من بين السباع. وإن كنا نجد من ناحية أخرى، أن العرب كانت "تدع الأسد والنمر والذئب تحريماً له بالاستقذار"[٥]. ولعل هذا التحريم بالاستقذار بعد أن حرمه الإسلام.

وقد اتهم أبو نواس العرب (وبالتأكيد، فهو يعني الأعراب) بأكل الذئب، يقول:

ولا تأخذ عن الأعراب لهواً ولا عيشاً فعيشهم جديب

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٩. جماع: عظيمة. تنمات: تمتد وتتمطط. ساق: السابق. شحم زخم: كريه، خبيث الرائحة.

(٢) Harrison, The Mammals of Arabia, N.2. p. 205.

(٣) كشاجم، المصايد والمطارد، ص١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤.

ثم يقول:

بأرض نبتهـا عُشَـر وطَلـح وأكثـر صيدهـا كلـب وذيب [١]

والحقيقة هي:

"أن لحم الذئب غير مستساغ، ولا يمكن أكله، بل حتى الكلاب ترفض تناوله، طالما أنه لم يطبخ، ولم يعالج لتهيئته لها"[٢].

الذئاب في لامية الشنفرى

استنتجنا مما مر أن الذئب لا يعتدي على الإنسان إلا بدوافع غاية في الشدة والحاجة، وما تزال هذه أيضاً قصصاً مشكوكاً فيها، حتى مر بنا حديث البحتري في لقائه الذئب، وكونها قصة فنية استلهمها من التراث، إن لم يكن سرقها جملة وتفصيلاً، كما يُزعم.

ووجدنا أن الإنسان يتخذ مبدئياً موقفاً عدائياً من الذئب، فهو الذي يبادره بالرمي والمجالدة. وتجد في لوحة الذئاب الجمالية في لامية الشنفرى، مجموعة من الذئاب، يراقبها الشاعر، ويسجل أحاسيسه تجاهها، ولم ينقل لنا مشهد اقتتال أو سفك دماء، مع أنه من المعروف جيداً أن الذئاب تعتمد في صيدها على حاسة الشم كثيراً [٣]، ولو كانت الذئاب تعتدي على الإنسان، لاعتدت عليه، وهكذا، لو جمعنا

---

(١) عبدالله بن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) ص٢٠٠؛ وانظر، أبا نواس، الحسن بن هانئ، أبا نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص١١.

(٢) Daniel Barnard, Wolf und Mensch (Saarbruker: Saarbruker Drukerei und Verlag, 1983), s. 97.

(٣) Mech, the wolf, p. 74.

كل لقطات الصورة المختلفة، لتكونت لنا صورة واحدة ذات قواسم مشتركة، تثبت ما ذكرناه آنفاً، مع بعض الاستثناءات التي عللنا وجودها.

ومن أجل إيضاح هذا الموقف جليّاً، نأخذ مقطوعة الذئاب في شعر الشنفرى، لنجد مدى تأثيرها في الشعر العربي بعد ذلك.

يقول الشنفرى:

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أَزَلُّ تهاداه التنائف أطحل [١]

غدا طاوياً يُعارض الريح حاكياً يخوت بأذناب الشعاب ويَعسِل [٢]

فلما لواه القوت من حيث أَمّهُ دعا فأجابه نظائر نُحَّلُ [٣]

مهلّلةٌ شِيب الوجوه كأنها قِداح بكَفَّيْ ياسر تَتَقَلْقَل [٤]

---

(١) الأزل: القليل لحم الوركين، صفة للذئب المحذوف. تهاداه: تترامى به.التنائف: جمع تنوفة، وهي الفلاة التي لا تنبت شيئاً، الأطحل: الذي لونه بين الغبرة والبياض، كلون الطحال. شبه نفسه بالذئب الذي يسير صباحاً وزاده قليل جداً، وهو يقطع المفاوز.

(٢) طاوياً: جائعاً، وهو من الطوى. يعارض الريح: أي يفعل مثل فعلها من الجري، يخوت: ينقض. الشعاب: الطرقات الجبلية. يعسل: يسرع باهتزاز. يشبه نفسه بالذئب الذي ينقض في الطرقات الوعرة وهو يسرع مختالاً.

(٣) لواه القوت: امتنع عليه. أمه: قصده. النظائر: الأشباه والأمثال. نحل: ضعيفة لشدة الجوع. يقول: لما عز عليه القوت طلبه عند غيره فعوى، فأجابته أشباه حالها كحاله في الجوع والهزال.

(٤) المهللة: خفيفة. شيب الوجوه: تغيُّرت ألوانها، فكأنها من ضمرها شيب. قداح: جمع قدح، وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله. الياسر: اللاعب بسهام الميسر يحركه بين يديه. تتقلقل: تتحرك وتضطرب.

هنا تتمة البيت الذي سبق، يقول، لما دعا أجابته ذئاب شيب الوجوه ليس لها غير الجلد والعظم، تمشي مضطربة تتقلقل عظامها، فتسمع لها صوتاً كصوت القداح التي تحركها كف المقاس.

أو الخَشْرَم المبعوث حَثْحَث دَبْرَه مَحابيض أرساهن سامٍ مُعَسِّل [١]
مهرتة فوه كأن شدوقها شقوق العصي كالحاتٌ وبُسَّل [٢]
فضَجَّ وضَجَّت بالبَراح كأنها وإياه نُوح فوق علياء ثُكَّل [٣]
فأغضى وأغضت وابتسى وابتست به مراميلُ عَزّاها وعَزَّته مُرْمِل [٤]
شكا وشكت ثم ارعوى بعدُ وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل [٥]
وفاءَ وفاءت بادراتٍ وكلُّها على نَكَظ مما يُكاتم مُجمِل [٦]

---

(١) الخشرم: رئيس النحل. المبعوث: المنبعث للسير. حثحث: حض وطلب منه الإسراع. الدبر: جماعة النحل. المحابيض: جمع محبض وهي عيدان مشتار العمل فيثير بها النحل. أرداهن: ثبتهن وأركزهن. سام: فاعل أرداهن وهو الذي يرتقي كي يشتار العسل.

المعنى: لقد هيج دعاء، هذه النظائر، فأجابته بدوي كدوي النحل الذي حَرَّك جماعته مشتار العسل بعوده، ليحصل عليه.

(٢) مهرتة: واسعة الأشداق. فوه: جمع أفواه، المفتوح الفم. كالحات: عابسات الوجوه، وهنا يشبه أفواه الذئاب بالعصي المشقوقة. بسل: جمع باسل، هو الكريه المنظر والشديد.

(٣) البراح: الأرض الواسعة لا نبت فيها. نوح: جمع نائحة. علياء: جمع العليا، وهي البقعة المشرفة. ثكل: جمع ثاكل: التي فقدت أولادها أو زوجها.

والمعنى: أن هذا الذئب استعوى رفاقه، فعوت، وكأن هذا العواء صراخ نساء فقدن رجالهن وأولادهن.

(٤) ابتسى: امتثل واقتفى. مراميل: جمع مرمل وهو الذي لا زاد معه. عزاها: سلاها.

يقول: عبر الذئب بإغضائه عن خيبته ثم إجابته الذئاب بمثل ما فعل واقتدى كل بأخيه، فكان الإغضاء والاقتداء بمثابة التعزية. وهي صورة نفسية بديعة لهذه الحيوانات فاقدة الزاد التي أضناها الجوع في هذه الصحراء الجرداء القاحلة.

(٥) شكا: بث حزنه. ارعوى: ترك. يقصد أن الذئب بث شكواه لأخوته، ولكنه تذرّع بالصبر عندما لم تنفعه هذه الشكوى. نكظ: عجلة واغتمام.

(٦) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ص ٧٤-٧٧. فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ: شدة الجوع. المجمل: المحسن حاله. والمعنى: لما فقدت الذئاب الصبر، رجعت مسرعة، كل يكتم ما عنده من ألم الجوع، ويعامل رفيقه بالحسنى.

ولكي نكون أدق في توضيح الصورة علينا أن نلاحظ أن المجموعة مجموعة متوافقة في أشكالها الجمالية، حتى استخدم هو لها كلمة: "نظائر"، فهي:

مهلهلة شيب الوجوه
كالحات وبُسَّل

وهي فوق ذلك، كئيبة حزينة، قانطة بائسة:

كأنها /وإياه نوح فوق عليا ثكل

فلا فوارق جسدية فيها، ولا اختلافات نفسية فيما بينها، وإنما هي كل سواء، مما يعطي كل ذئب منها صورة واحدة، وهذا أمر واقعي لتفكير الشنفرى نفسه، إنه يصف نفسه، ويصف أمثاله من الغزاة الفرسان، الذين يجتمعون إن اجتمعوا فرحاً وغبطة، كما هو هدف "العويل"، وتختتم لوحة الذئاب، بما يتوافق وصورة الذئب:

ثم ارْعَـوى بَعْـدُ وارْعَـوَت
على نَكَـظٍ مِمّـا يُكَابِـدُ مُجْمِـل

لقد تفرقت الذئاب التي اجتمعت، فمضى كل ذئب يعود سيرته الأولى في البحث والسعي، وبهذا نرى أنها مجموعة واحدة متواصلة، مشدودة إلى بعضها بعضاً، وإن تفرَّقت، وتباعدت بينها المسافات، وهي تنتمي إلى عائلة واحدة: أبوين، وأبناء، كما هي طبيعة الذئاب[1]، ومكانها الصحراء، وكما هي حالة الصعاليك في الانتماء إلى عشيرة واحدة، وتعود إلى موطن واحد. والجامع بينها هو "الكسب"، استجابت لندائها الغريزي، فتجمعت، ولكن تجمعها هذا الذي حقق حنينها، نقل قلقها وإشفاقها على مصيرها، إن كل مفردة وعبارة من تلك الأبيات، تتحدث بواقعية وصدق عن نفسية الصعلوك الشجاع، أي: عن الشنفرى، ومن هم في صنفه وصفه،

(١) Gross, The Arabian Mammals, p. 43, Harrison, Mammals of the Arabian Gulf, p. 49.

إنهم: "مراميل"، خرجوا بدافع توفير الغذاء لمن يعولونهم، إلى جانب أسباب شخصية أخرى لا تعنينا هنا.

وينسدل الستار بعد هذا المشهد على خاتمة تحكي الواقع، كما هو:

وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

فالشكوى لم تعد تجدي، والعويل ليس له تأثير، ولم يبق إلا الصبر الجميل.

إذن، فالذئب هنا ليس هو الذئب الذي كرس النثر العربي بلاغته لتصويره، بأنه: الغادر – العادي – الفاجر –...إلخ[1].

إنما هو الذئب الذي عكسه الشعر العربي بشكل عام، سعيداً في قفره، مكافحاً من أجل البقاء، يواجه ظروف الطبيعة القاسية بكل صبر وتحمّل.

المـــرأة والذئبـــة

ارتبطت المرأة في كثير من الآداب العالمية الشعبية خاصة بالشر والخيانة، ولعل أهم تلك الشرور في الذئبة هي الرغبة الجنسية الشديدة في أوقات الإخصاب الجنسي – كما ترى تلك الآداب – حيث تلح الذئبة على الحصول على أكبر قدر من الذئاب القوية، ومعلوم أن هذا الرأي الشعبي غير صحيح، كما أثبتت الدراسات الميدانية المعاصرة.

وفي الأدب العربي نجد أحد الرجاز يشبه كنّته بالذئب، وفرق بين وصف المرأة بالذئبة والذئب، والراجز لم يلصقها بتلك الشرور المألوفة عن الذئاب، بل اختار لها صفة غريبة، وهي الشك، وقال إنها:

كالذئب وسط القُنَّه[2] إلا تَرَه تَظُنَّهْ[3]

---

(١) انظر، العماري، رسالة في الذئب، ص ص٢١٣-٢٣٤.

(٢) القنة: الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض، أو الجبل الصغير.

(٣) ابن منظور، اللسان، "بقق".

كما قرن أحد الرجاز إحدى النساء بالذئب أيضاً، وذلك لما أشيع عنه من نهم في الأكل، فقال:

أمُّ خُوار غيرُ أمِرْ صَهْصَلقُ الصوت بعينيها الصَّبِرْ[1]
سائلة أصداغها لا تختمر[2] تعدو على الذئب بعُود منكسر
يَفِرّ مَنْ قاتلها ولا تَفِر لو نُحِرَتْ في بيتها عَشْرُ جُزُر
لأصبحت من لحمهن تَعْتَذِر[3]

ويشبه الأعشى، عبدالله بن الأعور امرأته بالذئبة الغبساء في ظل السرب[4]. ومن ثم، فقد قيل في أمثالهم: أسلط من سِلْقَة. والسلقة: الذئبة، وتشبه بها المرأة السليطة، فيقال: هي سلقة[5].

وقالوا: الإلقة: توصف بها السعلاة، والذئبة، والمرأة الجريئة، لخبثهن[6].

وقالوا: امرأة سمعمعة: كأنها غول أو ذئبة[7].

وقد بلغ التضايق بأحدهم من امرأته، التي أنجبت له ولداً، آذاه كأمه، أن قال فيهما:

وَهَبْتَه من سَلْفَعٍ مَشَانِ كذئبة تَنْبَحُ بالرُّكبانِ[8]

---

(١) الصهصلق: العجوز الشديدة الصوت الصَّخَّابة.

(٢) الأصداغ: جمعُ صدْغ، وهو ما انحدر من الرأس إلى مركب اللَّحيين، أو ما بين العين والأذن.

(٣) المصدر نفسه، "صهصلق".

(٤) المعري، الفصول والغايات، ص٣٥٢.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ص٣٥٣.

(٦) ابن منظور، اللسان، "ألق".

(٧) المصدر نفسه، "سمع".

(٨) المصدر السابق، "مشن". امرأة مشان: سليطة، مشاتمة، أي: يا رب! هذا الولد من امرأة غير مرضية.

وخاطب الشاعر امرأته: فقال:

فــلا تكونــي يا بنــة الأَشَــمّ   وَرْقــاءَ دَمَّــى ذئبُهــا المُدَمِّــي [(١)]

ولكن من الغريب أن نجد المجنون يشبه محبوبته ليلى بالذئب – وليس الذئبة – مكنِّياً بها عن الغدر والخيانة، وهو أمر غير طبيعي في العلاقة بين المحبين ومحبوباتهم، ولعل مما يخفف من هذا الاتهام للمحبوبة أن الأبيات غير منسوبة في جمهرة الأمثال للعسكري، ولكنها، مع ذلك، تظل أبياتاً في العلاقة بين الذئب والمرأة، يقول المجنون:

وكنتِ كذئب السوء إذ قال مرة   لِبَهْمٍ رَعَت والذئب غَرثانُ مُرْمِل [(٢)]

ألستِ التي من غير شيء شتمتِني   فقالت متى ذا قال ذا عام أول

فقالت وُلِدتُ العام بل رُمتَ كذبةً   فهاك فكلني لا يُهَنِّيك مأكل [(٣)]

ولقد دفع الشعور بالضيق من المرأة، الرَّحّال بن عروة إلى تمني التخلص منها، وأن يحل الذئب محلها، مع ما يشاع عنه من افتراس، يقول:

ألا ليت أن الذئب جُلِّلَ بِرْعَها   وإن كان ذا نابٍ حَديدٍ وذا ظُفُر [(٤)]

أما سيطرة الدافع الجنسي على الذئبة، المرأة، فنجده في قول أحدهم:

قَد أرْسَلوني في الكواعبِ راعياً   فقد وأبي راعي الكواعب أَفْرَسُ

أَتَتْــهُ ذئابٌ لا يُبالِيــنَ راعيــاً   وكُــنَّ ذئاباً تَشْتَهِــي أنْ تُفَرَّسا

---

(١) البكري، سمط اللآلئ، ج١، ص٢٤٢.

(٢) غرثان: جائع، مرمل: نافد الزاد.

(٣) قيس بن الملوح المجنون، ديوان المجنون، جمع وتحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٩م)ص٢١٧-٢١٨.

(٤) جران العود، ديوان جران العود، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ص١٣ يقول: ليت الذئب مكانها، ولم أرها.

وجاء في شرح هذين البيتين:

"أي: كانت هذه النساء مشتهيات للتفريس، فجعلهن كالسوام، إلا أنهن خالفن السوام؛ لأن السوام لا تشتهي أن تفرس، ففي ذلك حتفها والنساء يشتهين ذلك لما فيه من لذتهن، إذ فَرْس الرجال النساء ههنا إنما هو مواصلتهن. وأفرس من قوله: فقد وأبى راعي الكواعب، أفرس موضوع موضع فرست، وأبي، خفض بواو القسم، وقوله: راعي الكواعب، يكون حالاً من النساء المقدَّرة، كأنه قال: فرست راعياً للكواعب: أي: وأنا إذ ذاك كذلك، ويجوز أن يكون أتته ذئاب لايبالين راعياً قوله: وأبي مضاف إلى الكواعب، وهو يريد يراعي الكواعب ذاته، أي، رجال سوء فجَّار لا يبالون من رعي هؤلاء النساء، فنالوا منهن إرادتهن وهواهم، ونلن منهم مثل ذلك، وإنما كنّى بالذئب عن الرجال؛ لأن الزناة خبثاء كما أن الذئاب خبيثة"[1].

ويقول المجنون في قصة رمزية كذلك، بعد أن رأى ظبياً مرة، فتأمله، وذكر ليلى، فجعل الظبي يزداد في عينه حسناً، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه، فتبعه حتى خفيا عنه، ثم وجد الذئب قد صرع الثاني، وأكل بعضه، فرماه بسهم، فقتله، وبقر بطنه، فأخرج ما أكل منه، ثم جمعه إلى بقية جسده، ودفنه وأحرق الذئب، وقال في ذلك:

أبى الله أن تبقى لِحَيٍّ بشاشة ... فصبراً على ما شاءهُ الله لي صبرا

رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة ... فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فيا ظبيُ كُلْ رغداً هنيئاً ولا تخف ... فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا

---

(١) ابن منظور، اللسان، "فرس". وفي البيت الثاني إقواء، أو فيهما كليهما. وربما تطلب البيت الثاني زيادة (و) في بدايته.

وعندي لكم حصن حصين وصارم حسام إذا أعملته أحسن الهبرا[١]
فما راعني إلا وذئب قد انتحى فأعلق في أحشائه الناب والظفرا[٢]
فَبَوَّأتُ سهمي في كَتوم غَمَزْتها فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا[٣]
فأذهب غيظي قتله وشفى جويً بقلبي أن الحُرَّ قد يُدرِك الوِترا[٤]

ومهما كان الموقف من المرأة في تلك الأقوال، فإن هذا يمثل وجهة نظر خاصة، إذ نسمع قولاً آخر، شديد الولاء والمحبة للمرأة، يقول:

وأقسم لو أني أرى نسباً لها ذئاب الفلا حُبَّت إليَّ ذئابها[٥]

التشبّـــه بالذئـــاب

مما هو مثير حقاً أن تُلصق بالذئب كل صفات الشر من غدر وخيانة، وأن تتفق المجتمعات البشرية على هذه الصفات، حتى بلغ الحال ببعض الجماعات أن شخّصت الذئب في أوضاع وحشية جداً، مثلما هو الحال في غرب أوروبا، ولا سيما في فرنسا، حيث أُشيعت القصص الخيالية عما عرف بـ"الشبيه بالذئب The werewolf"، وبالذات حكاية وحش جيفودان Gevaudan Beast. ولم تكن قصص الصداقة مع الذئب خالية من

---

(١) الهبر: القطع.

(٢) انتحى: اعترض.

(٣) بوأ السهم: سدده، الكتوم من القسي: التي لا ترن إذا انبضت، الوتر: الثأر.

(٤) المجنون، ديوان مجنون ليلى، ص١٧١-١٧٣.

(٥) أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبدالسلام هارون (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ج٣، ص١٢٥٣، وانظر، ص١٣٣٠.

شك وريبة واتهام، حيث نُسب لأصحابها حكايات السحر والشعوذة، وذلك واضح فيما عرف بـ"أصدقاء الذئب Der Wolfsbandiger"[١].

وفي التراث العربي يقولون:

"لَبِسْتُ للكُماة جلود النمر" [٢]

أو: علينا جلد أخنس قرشع[٣]

أي: "لبستا جلود الأسود" [٤]

قال عوف بن عطية:

ونليس للعدو جلود أسد إذا نلقاهم وجلود نُمر [٥]

وقالوا:

"تذأب: إذا لبس لباساً يتشبه به بالذئب" [٦].

ويدل هذا على أن التزيي بزي الذئاب أمر وارد في التراث العربي.

ثم إن تكرار صورة الذئاب في شعر الصعاليك قد ينقلنا إلى افتراض أن الصعاليك ربما كانوا يتزيون بزي الذئاب، فيهاجمون المقيمين في شكل ذئاب، وعلى الرغم من أن الأدب العربي لم يحفظ لنا مثل هذه الصورة التي عُرفت في الآداب الغربية منذ عصور قديمة، فإن نقلهم لصور تسللهم، وتكرار تشبيههم أنفسهم

---

(١) Lawra Bour, Kine Angt vorm bosen wolf (Munchen: Southwest Verlag, 1978) ss. 1o - 25.

Bernand, Wolf und Mensch,ss. 69 - 150.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج١، ص٣٦٩.

(٣) الأخنس: القصير الأنف، القرشع: الأسد.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠٤.

(٥) الأنباري، شرح ديون المفضليات، ص٦٤٠.

(٦) الزبيدي، التاج، "هول".

بالذئاب، إضافة إلى استخدام ألفاظ معينة تدل على تحركاته، مثل: "عس"، ليجعل احتمال وجود هذه الحالة عند بعضهم وارداً، خاصة وهم يعيشون ظروفاً تطابق حياة الذئاب.

ويمكن أن نجد ذلك التشابه بين مهاجمة الذئاب للأغنام، لاختطافها، ومهاجمة الصعاليك للأحياء، للسلب والنهب، في قول الشنفرى:

فقالوا لقد هَرَّت بليلٍ كُلابُنا فقالوا أذِئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُل[١]

وقوله أيضاً:

كلانا طوى كشحاً عن الحيّ بعدما دخلنا على كَلاّبهم كلَّ مَدخَل[٢]

أما ما يؤكد وجود هذه المجموعة في الجزيرة العربية، فهو أن أهل اليمن المعاصرين يعتقدون بوجود الإنسان المفترس، أو الإنسان الشيطان، أو الإنسان الحيوان، الذي يطلقون عليه اسم: "بدم"، والاعتقاد عندهم هو:

"أن بعض الناس يتحولون إلى شبه حيوانات في الليل، فيعتدون على المزارع، ويأكلون أوراق الشجر، ويطاردون الناس والحيوانات في الجبال والأودية، و(إلى وقت قريب)... كان الناس في عدن يسمعون عواء ذئب في الليل، وانتشرت الشائعات أنه عواء إنسان له ذيل، يعيش في الجبل، وينزل إلى المدينة يبحث عن حيوانات ميتة في القمامات يحملها معه إلى الجبل ويأكلها عفنة نيئة، وفي أول الليل رآه أطفال قذفوه بالحجارة، فنظر إليهم، لكنه لم ينطق بكلمة، بل هرب منهم إلى الجبل بسرعة فائقة"[٣].

---

(١) المصدر نفسه، "فرعل"، الفرعل: ولد الضبع.

(٢) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص١٠٨.

(٣) حمزة علي لقمان، أساطير من تاريخ اليمن (بيروت: دار المسيرة، ط٢، ١٩٨٨م) ص٩٤.

وينقلنا هذا إلى التطرق إلى موضوع الغول:

إن نماذج الغول في الأدب العربي كثيرة، نجدها في حديث الثعلبي عن العرائس، وفي حكايات ألف ليلة وليلة، وفي تساؤلات الجاحظ في رسالة إلى أحمد بن عبدالوهاب [١].

ولا يهمنا تشكل الغول من أي حيوان مفترس، وإنما الذي يهمنا هو علاقة ذلك بالتذؤب، فقد رسم س. م. دوتي C. M. Doughy، صورة نقلها عن تصور البدو المعاصرين للغول، استناداً إلى الشخوص الأسطورية في الأدب العربي، وجاءت صورته على أنها، كما يتصورون:

نصفها ذئب ونصفها ضبع.

ونقل دوتي عن البدو في الصحراء، أنهم أقسموا برؤيتهم لها، وأن صوتها شبيه بصوت الأم حين تدعو أطفالها [٢].

ولقد أعطوا العنزة (وهي على رأيهم نوع من الذئاب)، صورة خرافية فزعموا أنها شيطان [٣].

وعلى هذا، فإن احتمال تذؤب بعض العرب أمر جائز، خاصة أن الصعاليك أنفسهم، كانوا يعرفون بـ"ذؤبان العرب"، إما مجازاً، وإما لأن بعضهم — كما أشرنا — كان يفعل ذلك، وإضافة إلى هذا، ومما يؤيد التذؤب في اليمن، أنه في جنوب بلاد اليمن، تقطن قبيلة تدعى: "الذئاب"، وهم:

"قبيلة من اللصوص... شعارهم: أنا ذيب حِمَيّر"[٤].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في:

خورشيد، الإنسان الوحش، مجلة الدوحة (فبراير، ١٩٨١م) ص ص٦٢-٦٦.

(٢) Stephen Longon, The Mgthology of All Races (U.S.A., The Plimpton Press, 1931) p. 354.

(٣) ابن منظور، اللسان، "عنز".

(٤) أحمد الشنتناوي وآخرين، (دائرة المعارف الإسلامية (بيروت: دار المعرفة) ١٩٩٣م) م٩، ص٤٣٥ .

وليس بعيداً بعد ذلك، أن تكون التسمية بـ"الذئب"، وهي كثيرة في الجاهلية، ذات علاقة بفكرة التذؤب هذه، إلى جانب أنها مستوحاة من شجاعة الذئب وصبره...إلخ. وقد تكون – على رأي أصحاب الطوطمية – فكرة طوطمية أصلية.

يقول عبدالمسيح بن عمرو الغساني في سطيح الكاهن:

وأمه مـــن آل ذئـــب بن حجـــن أبيض فضفاض الـــرداء والبدن [١]

تربية الذئاب

أصبحت تربية الذئاب في الوقت الحاضر مسألة مقرّاً بها، ولها مشاهدات مسجلة في أنحاء كثيرة من العالم، حتى إن بعض الدراسات الميدانية نبعت أصلاً من هذه المعايشة والاتصال.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية:

"والذئب يدجّن كالكلب بسهولة إذا أُخذ صغيراً، ويستأنس كالكلب بكل إنسان"[٢].

وتربية الأسود والفهود للصيد في الحياة العربية الأرستقراطية مذكورة في كتب الصيد المعنية به. أما الذئب، فكان بعيداً عن هذا الحقل، ولم يتم ترويضه لمثل هذه الأعمال. وقد قرر الجاحظ هذه الحقيقة، فقال:

"الذي عندنا في الذئب أنه (لا) يَأْلَف، ولو أخذ إنسان جرواً صغيراً من جرائه، لما نزع إلا وحشيّاً غدوراً مفسداً"[٣].

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل (القاهرة: مطبعة دار نصر، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ج١، ص١٤١.

(٢) بطرس، البستاني، دائرة المعارف (بيروت: دار المعرفة د.ت) ج٨، ص٤٣٥. وانظر على سبيل المثال:
Bour, Keine Angst vorm wolf. Lawrence, Der Ruf der wolfe.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ٢٥٣. ولابد أن (لا) سقطت من الأصل؛ لأن المعنى يتطلبها.

وقول الأعرابي الذي ربّى جرواً، فلما كبر، أغار على غنمه، مشهور ذائع:

أكلـت شويهتي ونشـأت فينـا فمـن أنباك أن أبـاك ذيـب [1]

وهو قول يرمز إلى التنافر الذي نشأ بين الذئب والإنسان منذ عصور سحيقة، ومن ثم إلى استحالة تعايش الذئب والإنسان.

ولقد أبدى الجاحظ دهشته واستغرابه من زعم عبويه بإمكان تربية الذئاب وترويضها، فعلق على ذلك الزعم بقوله:

"الذي حكى عبويه من شأن هذا الذئب من غريب الغريب".

أما الحكاية، فهي كما يقصها الجاحظ:

"وزعم عبويه أن الخصي العبدي الفقيه من أهل همدان، السوداني الجبلي، وهو رجل من العرب، قد ولدته حليمة، ظئر النبيﷺ، وهو من بني سعد بن بكر، فزعم أن السوداني أشبه خلق الله بجارحة، وأحكم بتدبير ذئب، وكلب، وأسد، ونمر، وتعليم وتثقيف، وأنه بلغ من حذقه، ورفقه، أن ضرّى ذئبا وعلمه، حتى اصطاد له الظباء والثعالب، وغير ذلك من الوحوش، وأن هذا الذئب بعينه سرّحه، فرجع إليه من ثلاثين فرسخاً"[2].

وإذ تبرهن التجارب المعاصرة على ما قاله عبويه، فإنه لمن المؤكد أيضا استحالة التعايش بين الذئاب والأغنام، فهذه هي القطيعة الأبدية بين النوعين، فهو إن صلح للحراسة، أو الصيد، فهو لا يؤتمن أبداً على الأغنام.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص ص٢٥٢-٢٥٣.

وانظر Harrison, The Mammals of Arabia, p. 205.

صيد الذئب

وسائل الصيد

لجأ الإنسان منذ وعى الصراع بينه وبين الذئب إلى طرق متعددة، إما لإبعاده عن محيطه، وإما للقضاء عليه والتخلص منه.

وتكاد وسائل الصيد القديمة تكون واحدة في كثير من بقاع الأرض، ولا تختلف هذه عند العرب من غيرها إلا في الكيفية التي تُشَكَّل فيها أدوات الصيد، والتي قد تكون متقاربة أيضاً في الأنواع والأحجام، بل حتى في مادة الصناعة وهندسة الآلة [١] فمن وسائل الصيد عند العرب:

الحُفر:

ولها مسميات متعددة ، منها:

الأوجار:

وهي حفر يجعل للوحوش فيها مناجل، فإذا مرت بها، عرقبتها ، الواحدة: وجْرة، ووجَرة. [٢].

الزَّبية:

وهي حفرة يتزّبى فيها الرجل للصيد ، وتحفر للذئب، فيصطاد فيها، وهي حفرة للأسد أيضاً، ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض، لئلا يبلغها السيل، فتتطمّ.[٣] وهي أيضاً: " أن تأخذ التيس فتربطه على شجرة، وتحفر دونه زُبية، فتغطيها،

---

(١) Bernard, Wolf und Mensch, ss, 53-68; Bour, Keine Angst, S. 13. Brown, The Wolf in the Southwest, pp. 33-34, 40.

(٢) ابن منظور، اللسان ، "وجر".

(٣) المصدر نفسه، "زبى". وجمعها : زُبَى . وانظر، الأشنانداني، معاني الشعر، ص ص١٨-١٩ .

فيصيح، فيسمع الذئب صياحه، فإذا جاء إليه، وقع في الزُّبية".[١]

المُغَوّيات:

واحدتها مُغَوَّاة : وهي حفرة كالزبية، تحتفر للذئب ويُجعل فيها جَديٌ، إذا نظر الذئب إليها، سقط عليها، يريده، فيصطاد.[٢]

المهلكة :

مثل الزُّبْيَة تُحفر للذئب، ويُجعل فيها جَدي، إذا نظر إليه، سقط يريده، فيصطاد.[٣]

الحديد:

وأشهر آلة منه هي :

اللَّبَجَة أو اللُّبُجة:

وهي حديدة ذات شعب، كأنها كفٌّ بأصابع تنفرج، فيوضع في وسطها لحم، ثم يشد إلى وَتِد، فإذا قبض عليها الذئب، التبجت في خطمه، فقبضت عليه، وصرعته.[٤].

النامرة:

شيءٌ يتخذ من حديد، ينصب للذئب [٥].

---

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج١ ، ص١٦٨.

(٢) ابن منظور، اللسان، "غوى".

(٣) الزبيدي ، التاج، "غوى".

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٠م)، ج٤ ، ص٦٧٨. وانظر، ابن منظور، اللسان، "لبج". والجمع: اللَّبَج، واللُّبَج، ومعنى لُبج: صُرع، وسقط من قيام.

(٥) أبوبكر، محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد : مكتبة المثنى، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ١٨٤. وانظر، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص٦٧٨.

الحظائر:

المعروف منها التالي:

الرَّداعة:

وهي مثل البيت، تُجعل فيه لَحمة، يصيد الصائد به الضبع والذئب.[١]

الشَّهْم/السَّهْم:

حجر يجعلونه في أعلى بيت يبنونه من حجارة، ويجعلون لَحُمَة السَّبُع في مؤخّر البيت، فإذا دخل السبع، فتناول اللحمة، سقط الحجر على الباب، فسدَّه.[٢]

الكَمحَة:

هي خشب، أو قَصبات، يُشد في وسطه حبل يجمعه.[٣]

الشبكة:

ينصب الصياد الشبكة، ويجبل الذئب، فيصيده.[٤]

اليعر:

اليعرة: الشاة، أو الجدي يُشَدّ عند زَبيَّة الذئب أو الأسد، رُبط أو لم يربط.[٥]

الفخّ:

وهو اسم من أسماء وسائل صيد الذئب. يُقال: خَشَّ ذؤالة بالحبالة. أي: خوَّفه، من خشَّيته. وهي الحُبالة[٦].

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص٦٧٧.

(٢) ابن منظور، اللسان، "شهم".

(٣) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٠٥.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص ١٠٦.

(٥) الزبيدي، التاج، "يعر".

(٦) ابن منظور، اللسان، "ذال".

الأعشاب والسموم:

خانق الذئب والنمر: وهو عبارة عن أربع حشائش: الأول مشرف الأوراق، مُزَغَّب، يشبه الدُّلْب. والثاني كذَنَب العقرب، بَرّاق ، نحو شِبر، لا تزيد أوراقه عن خمسة، وكلاهما ربعي. وهو من أنواع السموم ، يقتل سائر الحيوانات، وإنما خص النمر والذئب، لسرعة الفعل فيهما. وإذا خُلط بالشحم، وخُبز بالخبز، وأُطعم الذئاب، قتلها [١].

العنصل: هو البصل البري، ورق مثل الكُرّاث، يظهر منبسطاً، سَبَطاً، وهو شجيرة سهلية، تنبت في مواضع الماء والندى، ولها نَور كنور السوسن الأبيض. [٢] ولابد أن العرب فرشوه في طريق الذئاب؛ لأنهم اعتقدوا أنه: إذا وطأ الذئب ورقَه، مات لوقته. [٣] غير أن العِزّي يرفض هذا رفضاً تامّاً، ويقول: "وهم محض؛ لأن العنصل وإن كان سامّاً فإنه لا يقتل الذئب ولا أي حيوان إذا أكلته"[٤].

التخديـر: "ومما تصطاد به السباع العَادِيَة ، أن يؤخذ سمك البحر الكِبار السِّمان، فتقطّع، قطعاً ثم تُشرّح، وتُكتّل كُتَلا، ثم تؤجَّج ناراً في غائط من الأرض يقرب فيه السباع، ثم تُقذف تلك الكُتَل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار، وقُتار تلك الكتل في تلك الأرض ، ثم تُطرح حول تلك الأرض قِطَع من لحم قد جُعل في الخَرِيَق الأَسْوَد والأفيون، وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه، حتى تُقبل السباع لريح القُتار وهي آمنة، فتأكل من قطع ذلك اللحم، ويُغشى عليها، فيصيدها الكامنون لها كيف شاؤوا"[٥]

---

(١) الزبيدي، التاج، "خنق". مزغب: عليه زغَب، أي عليها مثل زَغَب الوَبَر. الدلب: نوع من الأشجار.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص٢٧١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) العزي، الحيوان في تراثنا، ص٤٨.

(٥) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٨٤. الغائط: المطمئن الواسع من الأرض. القتار: ريح الشواء. الخريق: نبت كالسُّم، يُغشى على آكله، و لا يقتله.

المباغتة والترصد:

يقولون: " إذا هجم الصياد على الذئب والذئبة ، وهما يتسافدان ، قتلهما كيف شاء". [(١)]

الــــرمي:

السهام: ينبل الصائد المحترف الذئب بسهامه ، فيصيب منه مقتلاً ، ويصطاده. يقول أعرابي قتل ذئباً :

أقـــولُ لــــه والنَّبـلُ تكـوي إهَابَهُ
إلــى جَانِــبِ المعــــزَاءِ ...... [(٢)]

الرماح: قال الفرزدق :

ولو غيرنا نبهت تلتمس القِرى أتاك بسهم أو شباة سنان [(٣)]

طرد الذئب:

الخيال: شيء يُصنَع للذئب أن يقرب الغنم ، أي : حتى يبدو كأنه إنسان.

قال الأعلم الهذلي :

هـــواءٌ مثـلُ بعلـك مستعتـــب على مـا في وعائك كالخيـال [(٤)]

---

(١) الأبشيهي ، المستطرف ، ج٢ ، ص١٢٨.

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، "دارة واسط"

(٣) الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، ج٢ ، ص٣٢٩ .

(٤) السكري ، شرح أشعار الهذليين ، ج١ ، ص٣١٩.